

شاهد على حرب أكتوبر 1973



لواء د. سمير فرج

من حكاية تعرف
المصري اليوم

11 نوفمبر 2023

«شاهد على حرب أكتوبر 1973» هو اسم آخر إصداراتي، كتابي الخامس، الذي أصدرته الأسبوع الماضي، من خلال الهيئة العامة للكتاب، بمناسبة الاحتفال بمرور 50 عامًا على حرب أكتوبر العظيمة، حيث شعرت أنني قبل أن أغادر هذه الدنيا، يجب أن أضع شهادتي عن هذه الحرب العظيمة، خاصة أنني اشتركت في معظم فصولها، ولم أكن شاهد عيان، فقد شاركت فيها منذ بدء أحداث 5 يونيو 67، ثم سنوات حرب الاستنزاف على الخط الأمامي للضفة الشرقية لقناة السويس.

وبيني وبين دفاعات العدو الإسرائيلي خط بارليف مسافة 200 متر، هي عرض القناة. تعرضت خلال السنوات الست في حرب الاستنزاف لمختلف أنواع الترشق بالنيران، بدءًا من نيران الأسلحة الصغيرة، ودانات الهاون، ثم نيران المدفعية، ثم الهجوم الجوي، وكان آخرها قنابل النابالم على موقع سريتي.

ولقد تعلمت الكثير خلال حرب الاستنزاف، حيث صحّت مقولة إن الحرب تُعلم الحرب. وأتذكر قائد كتبتي في هذه الفترة، رحمه الله، المقدم أحمد شفيق سليمان، وهو يعلمني كيف نحفر الحفرة الثعلبية على الميول الأمامية للخندق فوق مياه القناة مباشرة، وخلال فترة حرب الاستنزاف، كان إغراق المدمرة إيلات أمام سواحل بورسعيد بواسطة أبطال البحرية المصرية حدثًا فريدًا، وحتى يومها، ظل العدو الإسرائيلي يقذف مواقعنا الدفاعية، خمسة أيام، ليل نهار، بكل أنواع الذخيرة انتقامًا لإغراق هذه المدمرة.

وخلال هذه الفترة عاصرت تهجير أبناء بلدي بورسعيد ومعهم أبناء الإسماعيلية والسويس، الذين تركوا منازلهم، وهم لا يعلمون إلى أين هم ذاهبون، فالأطفال تركوا مدارسهم وأصدقاءهم، وعاشت عائلات بورسعيد في عيش رأس البر.

رفض والدى ووالدتي ترك مدينة بورسعيد، وعندما كنت أزورها هناك في إجازتي من الجبهة، كنت أنزل وأتجول في المدينة الحبيبة بورسعيد، التي أصبحت خالية من البشر، ليس فيها إلا رجال القوات المسلحة، وخاصة أبطال الدفاع الجوي، الذين أدوا بطولات عظيمة خلال هذه الفترة ضد هجمات العدو الجوي ضد مدينة بورسعيد.

حيث إنها كانت خارج مدى حائط الصواريخ المصري، كذلك كان الدعم الشعبي للقوات المسلحة عظيماً، ومازلت أتذكر مرحلة بناء حائط الصواريخ، حيث كان أبناء ورجال «المقاولون العرب» هم الذين يبنون دشم حائط الصواريخ، وفي إحدى الليالي، هاجم الطيران الإسرائيلي أحد المواقع أثناء تجهيزه بالعمال، وبعد انتهاء الغارة، طلب مني قائد الكتيبة أن أذهب إلى مكان البناء لتقديم أي عون قبل وصول عربات الإسعاف من مستشفى فايد العسكري.

ووصلت إلى هناك، وكانت المأساة حفرة من دانة الألف رطل من الطيران الإسرائيلي، بها عشر جثث للعاملين، لا يمكن أن تتعرف على الرؤوس لمن، والأيدي والأرجل لمن، ولكن كانت العظمة في صباح اليوم التالي، لقد جاءت الوردية الجديدة لتستمر في بناء وإنشاء الموقع، وكانت رسالة للعدو الإسرائيلي بأن الشعب المصري هو الذي يحارب جنباً إلى جنب مع رجال القوات المسلحة.

خلال حرب الاستنزاف، كنا نتدرب على الأسلحة الجديدة، التي وصلتنا من الاتحاد السوفيتي، كنا نذهب إلى بحيرة قارون في معسكر لعدة أسابيع، نتدرب على العبور باستخدام المركبات المدرعة الجديدة البرمائية، كانت المرة الأولى التي نستخدم فيها هذه المركبات، وبدأنا تعلم السباحة في الماء بهذه المركبات في بحيرة قارون نهاراً، ثم نتدرب ليلاً، ثم الرماية نهاراً أثناء العبور والرماية ليلاً، وهكذا كان الاستعداد لعبور قناة السويس.

ثم كانت المناورات الكبرى بالقوات والأسلحة على أحد أفرع النيل في دلتا مصر. كل ذلك ونحن ننتظر اليوم الموعود لعبور قناة السويس، واقتحام خط بارليف في اتجاه سيناء الحبيبة، ورفع العلم المصري فوق أرض الفيروز، وجاءت لحظة يوم السادس من أكتوبر

1973، وشاهدت أحداث الحرب من خلال غرفة عمليات القوات المسلحة، حيث كنت أصغر ضابط في هذا المركز.

وعرضت خلال كتابي هذا جميع اللحظات وأحداث هذه الحرب، منذ وصول الرئيس السادات بزيه العسكري في الثانية عشرة ظهرًا لمتابع بدء أعمال القتال والضرية الجوية، وأتذكر أنه بعد نجاح الضرية الجوية، قام المشير أحمد إسماعيل بإبلاغ الرئيس السادات باستشهاد شقيقه، الطيار عاطف السادات، ضمن قوات الضرية الجوية، خلال مهاجمته مطار المليز الإسرائيلي.

وتمضى أجمل اللحظات ونحن نتلقى بلاغات سقوط نقاط خط بارليف، ورفع العلم المصري على أرض سيناء، ثم فتح رجال المهندسين الساتر الترابي، ثم نزول الكباري، في الوقت الذي نجحت فيه فرق المشاة الخمسة في عبور القناة، وصد احتياطات العدو المدرعة الإسرائيلية، والكل متشبث بأرض سيناء، وبدأ عبور الدبابات والمدفعية إلى الضفة الشرقية للقناة، وعمل رأس الكوبري للفرق الخمسة، وأصبح لدينا 300000 مقاتل على الضفة الشرقية للقناة، ونجح حائط الصواريخ المصري في منع الطائرات الإسرائيلية من التدخل في عملية العبور.

وجاء يوم 14 أكتوبر، حيث قامت القوات الجوية بتنفيذ أهم المعارك في التاريخ الحديث، معركة المنصورة الجوية، 200 طائرة، في قتال لمدة 53 دقيقة. 120 طائرة إسرائيلية من الفانتوم والسكاي هوك من أحدث أنواع الطائرات في العالم، أمام 80 طائرة ميج 21، والسوخوي، التي صُنعت في الخمسينيات من ذلك العصر، وتتجح القوات الجوية في إسقاط 17 طائرة، وفقدنا خمس طائرات، منها اثنتان لنفاد الوقود. وتُختتم هذه الحرب بمعركة السويس، التي منعت الجيش الإسرائيلي من دخول المدينة، وهي معركة عظيمة يذكرها التاريخ من أبناء المقاومة الشعبية ورجال القوات المسلحة.

وكان أكبر شاهد على ذلك الدبابات الإسرائيلية المحترقة في مدخل مدينة السويس، وهكذا عرضت في ذلك الكتاب أحداث هذه الحرب، حيث كنت شاهدًا على حرب أكتوبر 73- الرائد سمير فرج، أحد أبناء العسكرية المصرية.

ولعل أهم ما عرضته في هذا الكتاب هو مناظرتي، التي تمت على شاشات قناة BBC في إنجلترا، مع جنرال شارون، وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق، حول معركة أكتوبر 1973، ولعل أهم ما جاء في هذه المناظرة ليس حصولي على ثمانى نقاط من معهد الدراسات والاستراتيجيات، الذي كان يحكم على هذه المناظرة، وحصول شارون على 4 درجات، لكن أهم ما جاء في هذه المناظرة هو إجابة الجنرال شارون عن سؤال من جانب معهد الدراسات الاستراتيجية: ما أهم مفاجأة قدمها المصريون في هذه الحرب؟، وكانت إجابته واضحة ومفاجئة: هي الجندي المصري الجديد الذي قابلته في تلك الحرب، لم يكن ذلك الذي قابلته في حربى 56 و67، هذا الجندي المقاتل الشجاع.

حيث حكى إن ثمانية جنود من الكوماندوز وقفوا أمام عشر دبابات إسرائيلية، وهم متأكدون من استشهادهم، وأضاف أنه يجب على جيش الدفاع الإسرائيلي أن يعرف أنه في أي حرب قادمة سيقابل جندياً مصرياً جديداً لم يقابله من قبل، وهكذا يصبح هذا الكتاب هو وثيقة عامة تقدم للقارئ المصرى ما حدث في حرب 1973.

Email: sfarag.media@outlook.com